الكتاب: آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير رضي الله عنه
المؤلف: عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري
راجعه ودققه: فضيلة الدكتور/ عبد الحق بن حمادي الهواس
الناشر: دار الأوراق الثقافية
الطبعة: الأولى، 1435 هـ
عدد الأجزاء: 1
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

آداب الحوار
من خلال سيرة مصعب بن عمير – رضي الله عنه –

إعداد
عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري

راجعه ودققه
فضيلة الدكتور/ عبدالحق بن حمادي الهواس
أستاذ اللغة العربية المشارك بالمعهد العالي للأئمة والخطباء بجامعة طيبة

تمهيد:

إن حياة الصحابي الجليل مصعب بن عمير – رضي الله عنه – مليئةً بالفوائد والدرر , إلا أن هناك أسلوباً تربوياً قد يكون بارزاً في حياته – رضي الله عنه – , ألا وهو: أسلوب الحوار , ولعل القارئ لسيرته – رضي الله عنه – يلحظ ذلك؛ لذا رأى المؤلف إيراد آداب الحوار المتمثلة في مصعب بن عمير – رضي الله عنه – مختصرةً من البحث الذي أشرت إليه في مقدمة كتاب سيرة الصحابي الجليل مصعب بن عمير – رضي الله عنه –.

فالحوار من أهم أساليب التربية الإسلامية وأفضلها؛ ذلك لأنه يترك المجال للأطراف المتحاورة لإبداء وجهات النظر وتبادل الآراء وتلاقح الأفكار , مما ينتج عنه تصحيح المفاهيم وحل المشكلات وتجاوز العقبات , ومن ثم تسود المحبة والألفة بين أفراد المجتمع , ومما يدل على أهميته كثرة استعماله في

القرآن الكريم والسنة النبوية , فهو فرصة كبيرة لدعوة الناس إلى الإسلام , بل ويقضي على المشاكل والخلافات العالمية والأسرية , أو يخفف منها.
وقبل الشروع في آداب الحوار عند مصعب بن عمير – رضي الله عنه – نتطرق إلى مفهوم الآداب والحوار في اللغة والاصطلاح.

فأما الآداب لغةً:
" الأَدَبُ: مَلَكَةٌ تَعْصِمُ مَنْ قَامَت بِهِ عمَّا يَشِينُه , وهُوَ: استعمالُ مَا يُحْمَدُ قَوْلاً وفِعْلا" (1). وقيل " الأدب: عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ " (2).

(1) محمد الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس , 2/ 7.
(2) الجرجاني: كتاب التعريفات , ص15.

والمقصود بالآداب: هي السمات التي يلتزم بها المحاور الناجح في أثناء عملية الحوار بأنواعها الثلاثة (العلمية , النفسية , اللفظية) قولاً وعملاً.

والحوار في اللغة:
"الحَوْرُ: الرُّجُوعُ عَنِ الشَّيْءِ وإِلى الشَّيْءِ " (1) ,وحاورت فلانا محاورة إذا كلمك فأجبته (2).
"وتَحاوَرُوا: تَراجَعُوا الكلامَ بينهمْ" (3).
وفي الاصطلاح:
هو: الطريقة التي يستعملها المحاور مع الطرف الآخر في موضوع محدد بهدف الوصول إلى الحق من خلال إقناعه وتصحيح خطئه ما أمكن.

(1) ابن منظور: لسان العرب , 4/ 217.
(2) محمد بن الحسن الأزدي: جمهرة اللغة , 1/ 525.
(3) الفيروز آبادي: القاموس المحيط , ص381.

الفصل الأول: آداب الحوار النفسية عند مصعب بن عمير – رضي الله عنه –:
تعتني الآداب النفسية للحوار بكل ما يعطي النفس ارتياحاً وهدوءاً, كتهيئة المكان , واختيار الزمان المناسب , وترفض كل ما يزعج النفس ويؤذيها , كالغضب والتوتر والقلق.

ومن أهم تلك الآداب النفسية في الحوار والتي تمثلت في مصعب بن عمير – رضي الله عنه – ما يأتي (1):

أولاً: الإخلاص وصدق النيّة.

ثانياً: تهيئة الجو المناسب.

ثالثاً: الإنصاف والعدل.

رابعاً: الحلم والصبر.

خامساً: العزة والثبات على الحق.

سادساً: حسن الاستماع.

سابعاً: الجرأة والغضب لنصرة الحق.

فهذه الآداب جعلت من مصعب بن عمير – رضي الله عنه – محاوراً ناجحاً , استطاع من خلالها ضبط مسيرة الحوار وتحقيق الهدف منه , وهذا بيان لها كما يأتي:

---

(1) يحيى بن محمد زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة , ص 116.

أولاً: الإخلاص وصدق النيّة:

ترك مصعب بن عمير – رضي الله عنه – دين آبائه , وما كان فيه من نعمة ودلال , وتحمّل الأذى والتعذيب؛ كل ذلك من أجل دين الله – عز وجل –. وقد رأى فيه الرسول – صلى الله عليه وسلم – حبه الصادق لله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – , لذا قال عنه – صلى الله عليه وسلم –: «لقد رأيت هذا عند أبويه بمكة يكرمانه وينعمانه، وما فتى من فتيان قريش مثله , ثم خرج من ذلك ابتغاءَ مرضاة الله ونصرة رسوله ...» (1).

وكذلك لم يشغل بال مصعب بن عمير – رضي الله عنه – عندما أرسله النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى أهل المدينة إلا نشر الإسلام بينهم وتعليمهم , فلم ينظر إلى شيء من زينة الدنيا , ولم يطلب من أحد شيئا , رغم ما كان فيه من فقر وضعف, وهذا كله يدل على إخلاصه وصدق نيته ونزاهة نفسه.

ثانياً: تهيئة الجو المناسب:

إن الحوار الناجح يتطلب تهيئته قبل البدء فيه بعدة أمور , تجعل منه حواراً هادفاً بنّاءً , يؤتي ثماره المرجوة منه , كاختيار المكان والزمان المناسبين , والتعارف بين المتحاورين , والجلوس للحوار.

لذا دخل مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما حائطاً من حوائط بني ظفر (2) , عند بئر مرق (3) , ومن هنا سيكون الحوار مهيئاً , لما يحويه

---

(1) الحاكم: المستدرك على الصحيحين , كتاب الإيمان , باب ذكر مصعب بن عمير العبدري – رضي الله عنه – ,3/ 728 , رقم 6640.
(2) ابن هشام: مصدر سابق , 1/ 435. وحوائط بني ظفر في الحرة الشرقية المعروفة بحرّة واقم (أي شرق المدينة). السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى , 3/ 62.
(3) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 436. وبئر مرق قريبة من دار بني ظفر. السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى , 4/ 23.

المكان من خضرة جميلة , ومياه وفيرة , تجلب الهدوء والروائح الزكية.
وعندما أخبر أسعد بن زرارة مصعب بن عمير رضي الله عنهما بقدوم أسيد بن الحضير – رضي الله عنه – قال له مصعب – رضي الله عنه –: "إن يجلس أكلمه " (1) , فحرص مصعب بن عمير – رضي الله عنه – على هذا الأدب النفسي؛ لذلك كرره مرةً ثانية عندما وصل أسيد بن الحضير – رضي الله عنه – وقد كان في حالة غضب ومتشتّما, فقال له: أو تجلس فتسمع (2) , فأراد من ذلك – رضي الله عنه – التغيير من حال الغضبان من الوقوف إلى الجلوس , كما أن الوقوف يوحي إلى عدم الرضا بالحوار , ويعطي صاحبه شيئاً من الأنفة والتعالي , فيقوده ذلك إلى رفع الصوت واستعمال بعض الأقوال والأفعال التي تخل بالحوار وتعطل سيره , وأما الجلوس فيعطي النفس شيئاً من الارتياح والاستقرار النفسي.

ثالثاً: الإنصاف والعدل:
إن العدل والإنصاف يعطيان الحوار ثقة ومتانة بين المتحاورين , فمصعب بن عمير – رضي الله عنه – ضمّن ذلك في حواره مع سعد بن معاذ – رضي الله عنه – عندما أقبل عليه , حيث قال له: " أوَ تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته , وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره , قال سعد: أنصفت " (3) , رغم أن مصعباً – رضي الله عنه – كان على الحق بمجيئه بالدين الإسلامي , ولكن أراد أن يبين مدى تمسكه بالعدل ليرضى سعد بن معاذ – رضي الله عنه – , مع حرصه الشديد على إقناعه بما جاء به.

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.
(2) المصدر السابق , 1/ 435.
(3) المصدر السابق , 1/ 435.

رابعاً: الحلم والصبر:
كان مصعب بن عمير – رضي الله عنه – حليماً صبوراً , فعندما أقبل عليه أسيد بن حضير – رضي الله عنه – وقف عليه متشتماً وزاجراً له , وهدده وأمره باعتزال المكان , وما كان من مصعب – رضي الله عنه – إلا أن تلطف معه وأشار إليه بالجلوس ليسمع منه (1) , فما زجره وما انتقم لنفسه ولم يقابله بالمثل , بل أحسن إليه بالكلام الليّن , والمعاملة الحسنة؛ لأنه يعرف أن المقابلة بالمثل سيكون معولاً هداماً لسير عملية الحوار , فيتوقف بذلك الحوار , ويعجز عن تحقيق الهدف المنشود.

خامساً: العزة والثبات على الحق:
لا بد للمؤمن أن يعتز بدين الله ويثبت على الحق في جميع المواطن, ولا يرخص نفسه ولا يذلها , يقول تعالى: {... وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} (2).
فمصعب بن عمير – رضي الله عنه – أعز نفسه بهذا الدين , وثبت على الحق , فعندما علمت أمه بمقدمه أرسلت إليه وقالت: " يا عاق , أتقدم بلدا أنا فيه لا تبدأ بي؟ فقال: ما كنت لأبدأ بأحدٍ قبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. ثم ذهب إلى أمه , فقالت: إنك لعلى ما أنت عليه من الصَّبْأَةِ بعدُ! قال: أنا على دين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله ... وجعلت تبكي , فقال مصعب – رضي الله عنه –: يا أماه إني لكِ ناصحٌ عليك شفيقٌ , فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله " (3).
فلم يتوانَ مصعب بن عمير – رضي الله عنه – ولم يتردد بالبدء برسول الله – صلى الله عليه وسلم – , لأنه يعلم

---

(1) المصدر السابق , 1/ 435.
(2) سورة المنافقون: آية (8).
(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.

أن حق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعظم من حق أمه فثبت على ذلك , ثم اعتز وافتخر بانتسابه إلى هذا الدين , وأخيراً لم تؤثر فيه عاطفته تجاه أمه عندما بكت , ولم يفكر في التراجع , بل ازداد إصرارا على الثبات والعزة , وأراد من أمه أن تُعِز نفسها وتعلو بذاتها بدخولها الإسلام ولكنها أبت , ولله الأمر من قبل ومن بعد.

سادساً: حسن الاستماع:
إن الفن الحقيقي في الحديث يكمن في حسن الاستماع , فسيجد المحاور قبولاً واحتراماً , وإنصاتاً من مُحاوره إن أوجد ذلك من قبل.
ولقد كان مصعب بن عمير – رضي الله عنه – بارعاً في حسن الاستماع فقد أنصت لكلام أسيد بن

حضير – رضي الله عنه – وهو واقفٌ عليه ومتشتماً , بل ويبدو أنه رافعٌ لصوته , فما قابل ذلك مصعبٌ – رضي الله عنه – إلا بحسن استماع وإنصات , وعندما انتهى أسيدٌ – رضي الله عنه – من كلامه , قال له مصعب – رضي الله عنه –: "أو تجلس فتسمع " (1) , فكأن لسان حاله يقول: فكما أني سمعت كلامك بإنصات فاسمع مني بإنصات كذلك. ومن خبر أمه – رضي الله عنه – كان في حسن استماع لها , مع أنها كانت تظهر له الكيد والعداوة , بل وأرادت التحريض عليه من قبل قومها لتعذيبه (2) , ومع هذا ما زال في حواره معها بحسن إنصات واستماع؛ لعلها تقتنع بكلامه فتدخل الإسلام.

سابعاً: الجرأة والغضب لنصرة الحق:
كما أن المحاور لا بد له من الحلم والصبر وعدم الغضب لنفسه , فهو كذلك

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.
(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.

لا بد أن تكون عنده جرأة في الحق والغضب له؛ لذا لم يكن من حال مصعب بن عمير – رضي الله عنه – إلا أن يتجرأ ويغضب لدين الله , فعندما جاء إلى مكة قالت له أمه: " ما شكَرْتَ ما رَثَيْتُكَ (1) , مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب , فقال: أفرُّ بديني إن تفتنوني. فأرادت حبسه, فقال: لئن أنتِ حبستَنِي لأحرصن على قتل من يتعرض لي " (2) , فقد غضب – رضي الله عنه – لدين الله حين أرادت أمه حبسه بتحريض قومها عليه , وتجرأ إلى حد القتل لمن أراد أن يتعرض له ويريد صده عن دين الله.

---

(1) من رَثَى لَهُ إذا رَقّ وتَوَجَّعَ. ابن منظور: لسان العرب , 14/ 309.
(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.

الفصل الثاني: آداب الحوار العلمية عند مصعب بن عمير – رضي الله عنه –:

إن الآداب العلمية ينبغي أن يتأدب بها كل مسلم في جميع جوانب الحياة , فهي مهمة للعالِم وطالب العلم وللمفكر والكاتب وكذلك المحاور, ومن تلك الآداب العلمية التي اتسمت في كيان مصعب بن عمير – رضي الله عنه – في حواراته ما يأتي (1):

أولاً: العلم.
ثانياً: التدرج والبدء بالأهم.
ثالثاً: الاستناد إلى الدليل.
رابعاً: الوضوح والبيان.
خامساً: الرد على الشبه بما يناسبها.

وإليك بياناً لهذه الآداب العلمية كما يأتي:
أولاً: العلم:
يشتمل العلم على ثلاثة ركائز مهمة , وهي: العلم الشرعي , والعلم بقضية الحوار , والعلم بالشخص المقابل ومكانته العلمية.
لذا يجد القارئ أن مصعب بن عمير – رضي الله عنه – كان يحمل معه علماً شرعياً قد نهله من النبي – صلى الله عليه وسلم – , عندما كان يتردد عليه سراً في دار الأرقم بن

(1) يحيى بن محمد زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة , ص276.

أبي الأرقم – رضي الله عنه – (1) , فعندما أقبل أسيد بن حضير على مصعب بن عمير رضي الله عنهما , أخذ مصعب – رضي الله عنه – يعلمه الإسلام , ويقرأ عليه القرآن , وكان من نتائج ذلك أن أسلم كل من أسيد بن حضير , وسعد بن معاذ رضي الله عنهما , وبإسلامهما أسلم خلقٌ كثير (2).
وكذلك عَلِم مصعب بن عمير – رضي الله عنه – بظروف الطرف الآخر وأحواله , وذلك عندما قال له أسعد بن زرارة – رضي الله عنه –: " جاءك والله سيّد مَن وراءه مِن قومه إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان " (3).

ثانياً: التدرج والبدء بالأهم:
حرص مصعب بن عمير – رضي الله عنه – في حواره مع الانصار – رضي الله عنهم – على أن يبدأ بالأهم , ويتدرج معهم في الدعوة إلى الله , فعندما كان مصعب بن عمير , وأسعد بن زرارة رضي الله عنهما جالسين جاءهما سعد بن معاذ – رضي الله عنه – فاستقبله مصعب بن عمير – رضي الله عنه – ثم "عرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن , قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهّله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهّر وتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلّي ركعتين " (4) , ولعل مصعب بن عمير – رضي الله عنه – حين عرْضِه للإسلام بيّن محاسنه ورحمته وعدله , وكذلك حرص على قراءة القرآن فهو أهم ما يُبدأُ به عند الدعوة إلى الله عز وجل , ثم عندما أراد سعد بن معاذ – رضي الله عنه –

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى ,3/ 117.
(2) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.
(3) المصدر السابق , 1/ 435.
(4) المصدر السابق , 1/ 435.

في الإسلام لم يأمره بالصيام أو الزكاة , بل بدأ بما هو أهم , من خلال التدرج بالاغتسال , فالتطهر , فالشهادة , ثم الصلاة.

وأيضاً في حواره مع أمه , حينما دعاها إلى الإسلام بدأ بدعوتها إلى النطق بالشهادتين فقال لها:"اشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله " (1) , فلم يبدأ بفروع الدين , بل حرص على الأصل والأهم.

ثالثاً: الاستناد إلى الدليل:
إن المحاور الناجح مَن ثَبَّتَ كلامه وعلمه وآراءه بالدليل والبرهان, فقد ساق مصعب بن عمير – رضي الله عنه – في حواره حين عرض الإسلام ودعا إليه دليلاً يدعم العلم والدين الذي أُرسل من أجله , ومن العجيب أنه – رضي الله عنه – لم يقرأ أي آية , بل اختار ما يناسب الحال , وهذا من ذكائه – رضي الله عنه – , فعندما جاءه سعد بن معاذ – رضي الله عنه – قرأ عليه قول الله تعالى: {حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (3)} (2) , يقول السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآيات: " هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين وأطلق، ولم يذكر المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة. {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} هذا المقسم عليه، أنه جعل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وهذا من بيانه. وذكر الحكمة في ذلك , فقال: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان " (3).

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.
(2) سورة الزخرف: آية (1 – 3). الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد , باب ابتداء أمر الأنصار ... , 6/ 41 , رقم 9876.
(3) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , ص762.

رابعاً: الوضوح والبيان:
لا شك أن مصعب بن عمير – رضي الله عنه – كان فصيح اللسان , وهذا من طبيعة العرب في ذلك الزمان , وفي بيانه – رضي الله عنه – كان دقيقاً في اختيار الدليل , فيتضح لنا من خلال الآية السابقة أن مصعب بن عمير – رضي الله عنه – قد اختار ذلك الدليل؛ لأنه يعرف مدى فصاحة العرب وبلاغتهم, ومدى اهتمامهم باللغة العربية من خلال الرجز والشعر والنثر , فتفتخر به القبائل وتتباهى به؛ لذلك أتى بهذا الدليل بما يناسب أحوالهم؛ وليعطي ما جاء به قوةً ومتانةً.
وقد كان – رضي الله عنه – يقتصد في كلامه , ولا يطيل إلا للبيان والتوضيح كما فعل مع سعد بن معاذ – رضي الله عنه – عندما عرض عليه الإسلام (1) , كما أنه لا يجادل ولا يكثر من الحشو في الكلام , فقد قال لسعد – رضي الله عنه –: " أو تقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره " (2).

خامساً: الرد على الشبه بما يناسبها:
لقد كان مصعب بن عمير – رضي الله عنه – يواجه الشبه بكل قوة , ولم يتوانَ ولم يتردد في الرد عليها , ففي ذلك اليوم الذي رجع فيه إلى مكة ذهب إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – , ثم جاء إلى أمه فقالت له: " إنك لعلى ما أنت عليه من الصَّبْأَةِ بعدُ! قال: أنا على دين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله " (3) , فأرادت أمه من هذه الشبهة أن تُلبِّس على ابنها وتصده عن الدين الإسلامي , فرد مصعبٌ – رضي الله عنه –

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.
(2) المصدر السابق.
(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.

مباشرةً وبكل قوة وثبات, فلم يكتفِ ويقول: أنا على دين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فحسب , بل قال: الإسلام , ثم زاد وقال: الذي رضي الله لنفسه ولرسوله , وهذا من أعظم ما يدل على قوته وجرأته في الرد على الشبه وتفنيدها.

الفصل الثالث: آداب الحوار اللفظية عند مصعب بن عمير – رضي الله عنه –:
إن الآداب اللفظية ينبغي أن تتوافر في المحاور؛ ليضمن سلامة الحوار وسيره باتزان , ويضفي عليه

الهدوء والاطمئنان , فيقوده ذلك إلى تحقيق الأهداف بكل يسر وسهولة.
وقد توافرت آداب لفظية في حوارات مصعب بن عمير – رضي الله عنه – , استطاع من خلالها أن يحقق ما يصبو إليه , وهي كما يأتي (1):
أولاً: الكلمة الطيبة والعبارة المناسبة.
ثانياً: حسن العتاب.
ثالثاً: التذكير والوعظ.
رابعاً: أدب السؤال.
خامساً: الإعراض اللفظي.
سادساً: البعد عن التعميم (2).
فهذه الآداب اللفظية لها شأنها ومكانتها في الحوار , فنبيّن كل واحدة منها على حدة , ونشاهد مصعب بن عمير – رضي الله عنه – أنموذجاً تطبيقياً لها من خلال ما يأتي:

---

(1) يحيى بن محمد زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة , ص 427.
(2) سعد عبدالله عاشور: ضوابط الحوار مع الآخر , ص 101.

أولاً: الكلمة الطيبة والعبارة المناسبة:
إذا تتبع القارئ حوارات مصعب بن عمير – رضي الله عنه – , يجد حرصه على الكلمة الطيبة , وانتقاء العبارات المناسبة , رغم الذي يلاقيه من فحش القول. فعندما كان في المدينة ومعه أسعد بن زرارة – رضي الله عنه – , جاءهما أسيد بن حضير – رضي الله عنه – " فوقف عليهما متشتّما، قال: ما جاء بكما إلينا تسفّهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة, فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع " (1) , فهذا أسيد بن حضير – رضي الله عنه – , وقف على مصعب بن عمير – رضي الله عنه – يشتمه ويهدده , فما قابل ذلك مصعبٌ – رضي الله عنه – إلا بكلمةٍ طيبةٍ وبأسلوبٍ حسنٍ , فطلب منه الجلوس ليسمع منه , وترفع عن الكلام الفاحش؛ لأنه يعلم أنه طريق لقطع الحوار.
ومع أمه لم يسمع منها إلا ألفاظاً سيئةً وأفعالاً مشينة , ولكنه استمر على خلقه الراقي , وطيبة نفسه , فلاطف أمه واختار أفضل العبارات وأحسنها , فكان مما دار بينهما " إنك لعلى ما أنت عليه من الصَّبْأَةِ بعدُ! ... فأرادت حبسه, ... فقال مصعب – رضي الله عنه –: يا أماه إني لكِ ناصحٌ عليك شفيقٌ " (2) , فهذه الكلمة الطيبة والعبارات الرنانة لها وزنها ووقعها في القلب , ولا بد أن يجني مصعبٌ – رضي الله عنه – من ورائها ثمرة.

ثانياً: حسن العتاب:
فكما يحرص المحاور على الكلمة الطيبة فهو كذلك يستعمل العتاب أحياناً ولا يكثر منه , ويفضل

استعمال العتاب في الحوارات الفردية , كأن يكون بين الزوجين أو بين صديقين أو نحوهما , وإلا تحول العتاب إلى توبيخ.

(1) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.
(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.

فقد استعمل مصعب بن عمير – رضي الله عنه – العتاب في حواره مع أمه , وإنما كان ذلك بأسلوبٍ لطيف , بعد تهديد أمه له بالسجن والتعذيب , ثم كان ذلك في حوارٍ فردي , إذ قال لها: "لئن أنتِ حبستَنِي لأحرصن على قتل من يتعرض لي , قالت: فاذهب لشأنك" (1) , فهي أرادت حبسه كخطأ تكرر منها سابقاً , ثم عاتبها بتلك الألفاظ , فاستطاع – رضي الله عنه – تعديل ذلك الخطأ , فقد تركته أمه ولم تتعرض له.

ثالثاً: التذكير والوعظ:
كان مصعبٌ – رضي الله عنه – يهتم بالوعظ والتذكير , ويغتنم الفرص السانحة, والتي يتوقع فيها أن للوعظ أو التذكير أثراً في محاوره , فعندما أرادت أمه صده عن الدين , استعملت معه شتى الوسائل , ولم تستطع إلى ذلك سبيلا , " فجعلت تبكي , فقال مصعب – رضي الله عنه –: يا أماه إني لكِ ناصحٌ عليك شفيقٌ , فاشهدي أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله , قالت: والثوَاقِبِ (2) لا أدخل في دينك فيُزرى برأيي , ويضعَّفَ عقلي " (3) , فبكاء أمه كان مسلكاً للوعظ والتذكير , فاغتنم ذلك مصعبٌ – رضي الله عنه – وذَكَّرها بالحق ووعظها بالدخول في الإسلام , وإن لم يصل إلى ما يريد , ولكنه أقام عليها الحجة , وسَلِم مما كانت تريده من سجنٍ وتعذيب.

رابعاً: أدب السؤال:
يلزم المحاور الناجح التأدب في طرح السؤال , وذلك في اختيار السؤال المناسب في الوقت المناسب , مع مراعاة اختيار الألفاظ الحسنة , ونبرة الصوت

(1) المصدر السابق , 3/ 88.
(2) الشهب المضيئة. الرازي: مختار الصحاح , ص49.
(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.

الهادئة , وتعبيرات الوجه الطلقة , فالتزم مصعب بن عمير – رضي الله عنه – الأدب في السؤال مع أسيد بن حضير – رضي الله عنه – , رغم الذي لاقاه من شتم وتهديد , فاختار له من ألطف الأسئلة إذ قال له: " أوَ تجلسُ فتسمعُ؟ " (1) , فكان أدباً لطيفاً يطلب منه الجلوس ليسمعه ما يريد , فلم يتمالك أسيد – رضي الله عنه – أمام هذا الأدب الجم إلا أن استجاب له وجلس ليستمع لما يقوله , مما يبين أهمية هذا الأدب وضرورة الالتزام به في أثناء الحوار.

خامساً: الإعراض اللفظي:

إن الإعراض قد يكون بالجسد أو بالعين أو بالوجه أو باللفظ , ويستعمل المحاور هذا الأدب , حين لا يُجدي الحوار , ولا يُغني العتاب , ويكون ذلك عند كثرة أخطاء الخصم وإصراره , أو ارتكابه خطأً فادحاً قد يتضرر به المحاور.

ومصعب بن عمير – رضي الله عنه – أعرض عن أخيه أبي عزيز , وذلك مقابل تأييده ووقوفه مع أمه عليه , فعندما وقعت غزوة بدر وانتصر المسلمون , وكان من بين الأسرى " أبو عزيز بن عمير، أسره أبو اليسر , ثم أُقْتُرِعَ عليه فصار لمُحرِزِ بن نضلة، وأبو عزيز أخو مصعب بن عمير لأمه وأبيه. فقال مصعب لمُحْرِزٍ: أُشدُدْ يديك به، فإن له أُمّا بمكة كثيرة المال. فقال له أبو عزيز: هذه وصاتُك بي يا أخي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك! فبَعَثَتْ أُمّهُ فيه بأربعةِ آلافٍ، وذلك بعد أن سألت أغلى ما تُفَادِي به قريش، فقيل لها أربعةُ آلافٍ" (2) , فكان أبو عزيز يكلم أخاه مصعباً – رضي الله عنه – فلا يجيبه , فيعرض عنه مصعب بن عمير – رضي الله عنه – لفظاً ويجعل كلامه إلى محرزٍ – رضي الله عنه – , وما ذاك إلا من شنيع ما لاقاه مصعبٌ – رضي الله عنه – منه , ولما يعرف من عداوة أخيه له.

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.

(2) الواقدي: المغازي , 1/ 144.

سادساً: البعد عن التعميم:

لقد كان مصعب بن عمير – رضي الله عنه – في حواره مع أمه , ورغم محاولاته الجادة في إسلامها , إلا أنها أبت , بل أرادت حبسه والتضييق عليه , فقال – رضي الله عنه –: " لئن أنتِ حبستِني لأحرصن على قتل من يتعرض لي " (1) , فلم يعمم – رضي الله عنه – على قومه كلهم , بل حدد في ذلك من يتعرض له , إذ إن من الإنصاف أن تكون العقوبة والجزاء على المخطئ , كما أن للمحسن الإحسان , ومن التعدي والظلم تعميم الخطأ, وإنزاله على أناس لم يكن لهم في ذلك مشاركة ولا تأييد , فلعل أمه اقتنعت بحسن أدب ابنها وإنصافه في حواره؛ لذلك قالت له: " فاذهب لشأنك " (2) , وفي ذلك يقول المصطفى – صلى الله عليه وسلم – «إن أعظم الناس فرية لرجل هاجى رجلاً فهجا القبيلة بأسرها» (3) , فهذا من تمام العدل الذي أمر الله به وحث عليه , إذ كيف

يخطئ فرد من الأفراد فيؤاخذ بخطئه مجتمع كامل.

---

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.
(2) المصدر السابق , 3/ 88.
(3) ابن ماجه: سنن ابن ماجه , كتاب الآداب , باب ما كره من الشعِر , 2/ 1237 , رقم 3761. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة , مكتبة المعارف , الرياض , ط1 , 1415هـ , 2/ 390 , رقم 763.

الفصل الرابع: الآثار التربوية للحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير – رضي الله عنه –:
في حياة مصعب بن عمير – رضي الله عنه – , ظهرت آثار تربويةٌ كانت نتيجةً لتلك الجهود التي قام بها , وذلك من خلال حواراته المختلفة والتي كانت ناجحة ومثمرة , وما ذاك إلا لالتزامه وإتقانه لآداب الحوار المختلفة , فهي كما يأتي (1):

أولاً: ظهور العلم.
ثانياً: تمييز الحق من الباطل.
ثالثاً: كف عدوان المبطلين والمعاندين.
رابعاً: توحيد الصفوف وجمع الكلمة.
خامساً: الثواب والأجر من الله سبحانه.
فهذه من الآثار التي يجنيها المحاور الناجح , وقد ظفر بها مصعب بن عمير – رضي الله عنه – في حياته , وهي كما يأتي:
أولاً: ظهور العلم:
في حوارات مصعب بن عمير – رضي الله عنه – ظهر العلم في المدينة حتى دخل أكثر دُورها , فعندما نجح في حواره مع أسيد بن حضير , وسعد بن معاذ – رضي الله عنهم – وأسلما ,

---

(1) ينظر: الموصلي , فتحي بن عبدالله: فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية , الدار الأثرية , عمّان , ط1 , 1428 هـ , ص204 – 208.

بدأوا في إظهار هذا الدين ونشره في المدينة وتعليم الناس أمور دينهم ," قال ابن إسحاق: ورجع سعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقاما عنده يدعوان الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور

الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات ... " (1) , فهذا أثرٌ عظيم في ظهور العلم , بل وتجد في ذلك سرعةً وإقبالاً من الناس في حين ظهور الحق , فعندما رجع مصعب بن عمير – رضي الله عنه – إلى مكة ذهب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وأخبره بأمر الأنصار وسرعتهم في دخول الإسلام فسُرَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بكل ما أخبره (2).

ثانياً: تمييز الحق من الباطل:
استطاع مصعب بن عمير – رضي الله عنه – أن يميّز بنفسه الحق من الباطل , فترك دين آبائه ودخل الدين الإسلامي معلناً إسلامه , ثم في حواراته المنهجية استطاع أن يبيّن للطرف الآخر الحق , وأن يجعله يميز الحق من الباطل الذي كان عليه , فعندما جاءه أسيد بن حضير – رضي الله عنه – أخذ يكلمه عن الإسلام , ويعلمه شيئاً من تعاليمه السمحة , وقرأ عليه من القرآن , فعرف بذلك أسيد بن حضير – رضي الله عنه – الحق , فأشرق وجهه وتهلل ودخل الإسلام , وكذا فعل مصعب بن عمير – رضي الله عنه – مع سعد بن معاذ – رضي الله عنه – فأسلم (3) , فكان لمعرفتهم الحق أثرٌ كبيرٌ في دحض الباطل وأهله.

ثالثاً: كف عدوان المبطلين والمعاندين:
في حياة مصعب بن عمير – رضي الله عنه – وعندما أسلم لاقى ألواناً من التعذيب من

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.
(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.
(3) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.

أمه وقومه (1) , حتى هاجر إلى الحبشة (2). فعندما جاء من المدينة إلى مكة أخبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما جرى مع الأنصار (3) , ثم ذهب إلى أمه فدار بينهما حوارٌ استطاع فيه – رضي الله عنه – أن يكف عدوان أمه وقومه , فكان مما دار بينهما أن قالت له أمه: " إنك لعلى ما أنت عليه من الصَّبْأَةِ بعدُ! قال: أنا على دين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الإسلام الذي رضي الله لنفسه ولرسوله. قالت: ما شكَرْتَ ما رَئَيْتُكَ (4) , مرة بأرض الحبشة ومرة بيثرب , فقال: أفرُّ بديني إن تفتنوني. فأرادت حبسه, فقال: لئن أنتِ حبستَني لأحرصن على قتل من يتعرض لي , قالت: فاذهب لشأنك , وجعلت تبكي " (5) , فكانت الثقة والجرأة والأسلوب الحكيم سلاحاً استعمله مصعب بن عمير – رضي الله عنه – لكف الشر الذي كاد أن ينزل به.

رابعاً: توحيد الصفوف وجمع الكلمة:
ومما يعين على ذلك , الحوار المنهجي الذي يجعل من المبادئ الإسلامية منهجيته , وآدابه مسلكاً له

إلى تحقيق الهدف؛ لذلك أثمرت حوارات مصعب بن عمير – رضي الله عنه – مع الأنصار , فقد توحدت صفوفهم واجتمعت كلمتهم , بعد أن كانت الحروب والصراعات قائمة بين الأوس والخزرج , فقد دخلوا الإسلام وأصبحوا إخوةً مجتمعين (6) , وكان مصعب بن عمير – رضي الله عنه – يصلي بهم , وكان يسمى المقرئ

(1) السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية , 4/ 52.
(2) ابن اسحاق: سيرة ابن اسحاق , ص 174.
(3) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.
(4) من رَثَى لَهُ إذا رَقّ وتَوَجَّعَ. ابن منظور: لسان العرب , 14/ 309.
(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى , 3/ 88.
(6) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.

بالمدينة (1) , وبذلك أصبح الأنصار من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – , وكانوا منطلقاً لغزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم – , فشع نور الإسلام من المدينة حتى بلغ أقاصي الأرض , كل ذلك كان توفيقاً من الله وحده , ثم جهود مصعب بن عمير – رضي الله عنه – في توحيد صفوفهم واجتماع كلمتهم من خلال حواراته البناءة والهادفة.

خامساً: الثواب والأجر من الله سبحانه:
من أعظم الأعمال التي ينال بها المسلم الثواب , الدعوة إلى الله؛ لأن من دل على خير كان له أجر من عمل به , قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إنَّ الدال على الخير كفاعله» (2) , ومن الدعوة إلى الله أن يستعمل الداعية أسلوب الحوار؛ لأنه من أقوى الأساليب في استمرار الناس على الخير , فإذا اقتنع الطرف الآخر بما تدعو إليه , كان تمسكه به متين , بل سيدعو إلى الحق الذي أتيت به , وهذا ما حصل مع مصعب بن عمير – رضي الله عنه – , فقد أسلم على يده خلق كثير من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – , ففي حواره مع الأنصار أسلم أسيد بن حضير , وسعد بن معاذ – رضي الله عنهم – , وبإسلامهما أخذوا جميعاً يدعون إلى الله وينشرون الإسلام في المدينة حتى لا يكاد يخلو دار من مسلم (3).
هذا ما يسر الله عليه وأعان , فما كان فيه من نقص وخطأ فمن نفسي , وما كان فيه من صواب فمن الله وحده.
وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(1) المصدر السابق , 1/ 434.
(2) الترمذي: سنن الترمذي ,كتاب أبواب العلم , باب ما جاء الدال على الخير كفاعله , 5/ 41

, رقم 2670 , قال الألباني: حسن صحيح.
(3) ابن هشام: السيرة النبوية , 1/ 435.

قائمة المصادر والمراجع

1) الأزدي , محمد بن الحسن: جمهرة اللغة ,المحقق/رمزي منير بعلبكي , دار العلم للملايين , بيروت , ط1 , 1987م.
2) الألباني , محمد ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها , مكتبة المعارف , الرياض , ط1 , 1415هـ.
3) الترمذي , محمد بن عيسى: سنن الترمذي , تحقيق وتعليق / أحمد محمد شاكر , محمد فؤاد عبدالباقي , إبراهيم عطوة , شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي , مصر , ط2 , 1395هـ.
4) الجرجاني , علي بن محمد: كتاب التعريفات , المحقق/ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1403هـ.
5) الحسيني , محمد بن محمد: تاج العروس من جواهر القاموس, المحقق/مجموعة من المحققين , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1428هـ.
6) الرازي , زين الدين محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح ,المحقق/يوسف الشيخ محمد , المكتبة العصرية , بيروت , ط5 , 1420هـ.
7) زمزمي , يحيى بن محمد: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة , دار التربية والتراث , مكة المكرمة , ط1 ,1414هـ.
8) السعدي , عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان , المحقق/عبدالرحمن بن معلا اللويحق , مؤسسة الرسالة , بيروت , ط1 , 1420هـ.

9) السمهودي , علي بن عبدالله: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1419هـ.
10) السهيلي , عبدالرحمن بن عبدالله: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية , تحقيق / عمر عبدالسلام السلامي , دار إحياء التراث العربي , بيروت , ط1 , 1421هـ.
11) عاشور , سعد عبدالله: ضوابط الحوار مع الآخر , مجلة الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين , سلسلة الدراسات الإسلامية , المجلد السادس عشر , العدد الأول , يناير 2008 , ص 96.
12) الفيروز آبادي , محمد بن يعقوب: القاموس المحيط , تحقيق/مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة , مؤسسة الرسالة , بيروت ,ط8 , 1426هـ.

13) ابن ماجه, محمد بن يزيد: سنن ابن ماجه , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1419هـ.
14) المطلبي , محمد بن اسحاق بن يسار: سيرة ابن اسحاق , تحقيق / سهيل زكار , دار الفكر , بيروت , ط1 , 1398هـ.
15) المعافري , عبدالملك بن هشام: السيرة النبوية لابن هشام , تحقيق/ مصطفى السقا وآخران , شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده , مصر , ط2 , 1375هـ.
16) ابن منظور , محمد بن مكرم: لسان العرب , دار صادر , بيروت , ط3 , 1414هـ.

17) الموصلي , فتحي بن عبدالله: فقه الحوار مع المخالف في السنة النبوية , الدار الأثرية , عمّان , ط1 , 1428 هـ.
18) النيسابوري , الحاكم محمد بن عبدالله: المستدرك على الصحيحين , تحقيق / مصطفى عبدالقادر عطا , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1411هـ.
19) الهاشمي , محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى , تحقيق / محمد عبدالقادر عطا , دار الكتب العلمية , بيروت , ط1 , 1410هـ.
20) الهيثمي , أبو الحسن نور الدين: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد , المحقق/حسام الدين القدسي , مكتبة القدسي , القاهرة , د. ط , 1414هـ.
21) الواقدي , محمد بن عمر: المغازي , تحقيق/مارسدن جونس , دار الأعلمي , بيروت , ط3 , 1409هـ.